الاول قالت المعتزلة لولا ان يكون غير الله قد يكون خالقا لما جاز العقول با قراحسن الخالقين كما انه لو لم يكن
في عباده من يحكم ويرحم لم يجز ان يقال في حقه انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين وحاصل اشارة اجوابهم بتفسير
الخالقين بالمقدرين فان الخلق هو التقدير قال زهير ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى
اى ولانت تقدر امرا فتمضيه وبعض القوم ولا يمض والآية انما تكون حجة للمعتزلة ان لو كان التقدير
مستلزما للايجاد وليس كذلك والمعنى احسنهم خلقا وتقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف
المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون وهو القتال لدلالة يقاتلون عليه **قوله** ولذلك اى ولكون
المصير الى الموت امرا ثابتا لا محالة ذكر النعت الذى للثبوت وهو الصفة المشبهة ولم يذكر ما هو للحدوث
وهو اسم الفاعل وهذه الاطوار التى يتقلب الانسان فيها لا يقدر عليها غيره تعالى فهى دليل على وجوده وكمال
قدرته وعلمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقة السموات لقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اى
سبع طباق متطارقة بعضها فوق بعض **قوله** مهملين امرها اشارة الى ان المراد بخلق السموات السبع
واللام فيه للعهد وانه بمعنى المخلوق بين تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعد ما بين قدرته بخلق نفسها كانه
قال خلقنا فوقهم وما كنا عما يحدث وما يجرى فيها او عن حفظها وامساكها ان تقع عليهم غافلين ويحتمل
ان يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة في خلقها كانه قيل انما خلقناها فوقهم لينفتح
ابواب الارزاق والبركات عليهم منها وينتفعون بمنافعها فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم ثم انه
تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية تاثيراتها في النبات فقال وانزلنا من السماء ماء بقدر اى ما نزل
لاطلبنا بتقدير تكثر نفع ذلك المقدر وتقليل ضرره على ان قوله بقدر صفة مصدر محذوف واما ان كان
القدر بمعنى المقدار فيكون صفة لقوله ماء والتقدير لا يقتضى مقيسا عليه معلوما بخلاف المقدار فلذلك
اضاف المقدار الى المقيس عليه ولم يضف التقدير اليه واختلف المفسرون في ان المراد بالسماء ما هو فذهب
الاكثرون الى ان المراد بها المظلة الخضراء وان مياه الارض كلها نازلة منها جعل الله منافع السماء مع ما
فيهما وبين بذلك ان منشئهما ومدبرهما واحد عالم بذاته فذهب الاكثرون الى ان المراد بها السحاب وسماه
سماء لسموه وارتفاعه والمعنى انه تعالى اصعد الاجزاء المائية من قعر الارض ومن البحار الى السماء حتى صارت
عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم ان تلك تاتلف وتتكاثف ثم ينزل الله على قدر الحاجة اليه ولولا
ذلك لم ينتفع بتلك المياه الارضية لتفرقها في قعر الارض ولا بماء البحار لملوحته ثم انه تعالى امتن علينا
بابقاء الماء الذى هو قوام مصالح الدين والدنيا فقال وانا على ذهاب به اى بالماء لقادرون روى عن
ابن عباس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل من الجنة خمسة انهار سيحون
وهو نهر هند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله
من عين واحدة من عيون من اسفل درجة من درجاتها على جناحى جبرائيل استودعها الجبال فاجراها في الارض
وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض
فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبرائيل ورفع من الارض القرآن والعلم والحجر الاسود وركن

من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الخمسة يرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى
وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا واعلم
ان الماء نعمة في نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخرى فلا جرم امتن الله اولا بانزاله وابقائه ثم ذكر
ما يحصل به من النعم فانشأنا لكم به جنات الآية **قوله** او ترزقون تعيشون ثانى لقوله تعالى تاكلون فان
الاكل حقيقة في ابتلاع المطعوم والتغذى به ويطلق ايضا على تحصيل ما ينتفع الانسان في تعيشه من ماكل
وملابس ونحوها مجازا مرسلا بطريق التعبير عن الشئ باسم ما يقصد منه **قوله** ومنع صرفه اى منع صرف
سيناء بكسر السين والمد وهى قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو بخلاف عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر و
يعقوب فانهم قرؤا سيناء بفتح السين والمد والاعمش كذلك الا انه قصرها وهمزة سيناء بكسر السين
ليست بتانيث اذ ليس في كلام العرب فعلاء بكسر الاول وهمزة للتانيث بل هى للالحاق بسرداح وقرطاس
كما في علباء فيكون الهمزة فيها منقلبة عن ياء او واو لان الالحاق يكون بهما فلما وقع حرف العلة متطرفة بعد
الف زائدة قلبت همزة كما في رداء وكساء **قوله** اى تنبت ملتبسا بالدهن اى وفيها الدهن حال من فاعل
تنبت وجوز كونه مفعولا به بغير صريح لتنبت ومن قرأ تنبت بضم التاء وكسر الباء جعل انبت بمعنى نبت كما
في بيت زهير رايت ذوى الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل وظهر الخصب ينتجعون وينفضون
من حولها ويجوز ان يكون نبت متعديا حذف مفعوله اى تنبت زيتونها وفيه الزيت فقوله بالدهن على الوجهين
في موضع الحال وفيه وجه ثالث لم يتعرض له المص وهو ان يكون الباء فيه زائدة في المفعول كما في قوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من انبتها الله بالدهن
حال من المفعول القائم مقام الفاعل اى تنبت ملتبسة بالدهن وفى حرف ابى تثمر بالدهن وقرئ تخرج
بالدهن مضارع خرج ويخرج الدهن وصبغ للآكلين مضارع اخرج وتنبت بالدهن وهو جمع دهن
كرمح ورماح والصبغ والصباغ ما يصطبغ به اى يؤدم سمى الادام صبغا لان الخبز يلون به اذا غمس فيه
ونحوهما الدبغ والدباغ لما يدبغ به ثم انه تعالى لما استدل على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بانزال
الماء واخراج انواع النبات به استدل عليه باحوال الحيوانات ايضا فقال وان لكم في الانعام لعبرة ثم
فصل ما فيها من وجوه الاعتبار وذكر منها اربعة اوجه الاول قوله نسقيكم مما في بطونها والمراد جميع وجوه
الانتفاع بالبانها ووجه الاعتبار فيه انها يجتمع في الضرع ويتخلص من بين الفرث باذن الله تعالى فيستدل
بذلك على قدرة الله وحكمته بكون هذه النعمة في حقه من النعم الدينية ومن انتفع بها في امر معاشه يكون في حقه
من النعم الدنياوية والثانى قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة وثالثها قوله تعالى ومنها تاكلون افرد منفعة الاكل
بالذكر لكونها انتفاعا مغايرا لما سبق من حيث كونها انتفاعا باعيانها بعد ذبحها بخلاف المنافع السابقة فانها
انتفاع بمنافعها الخارجة عن ذواتها وهى حية باقية باعيانها ورابعها قوله وعليها وعلى الفلك تحملون **قوله**
فيكون الضمير فيه اى على تقدير ان يراد بضمير عليها الابل خاصة يكون الضمير فيه كالضمير في قوله تعالى وبعولتهن
بعد قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء في كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان ضمير بعولتهن

Copyright © King Saud University